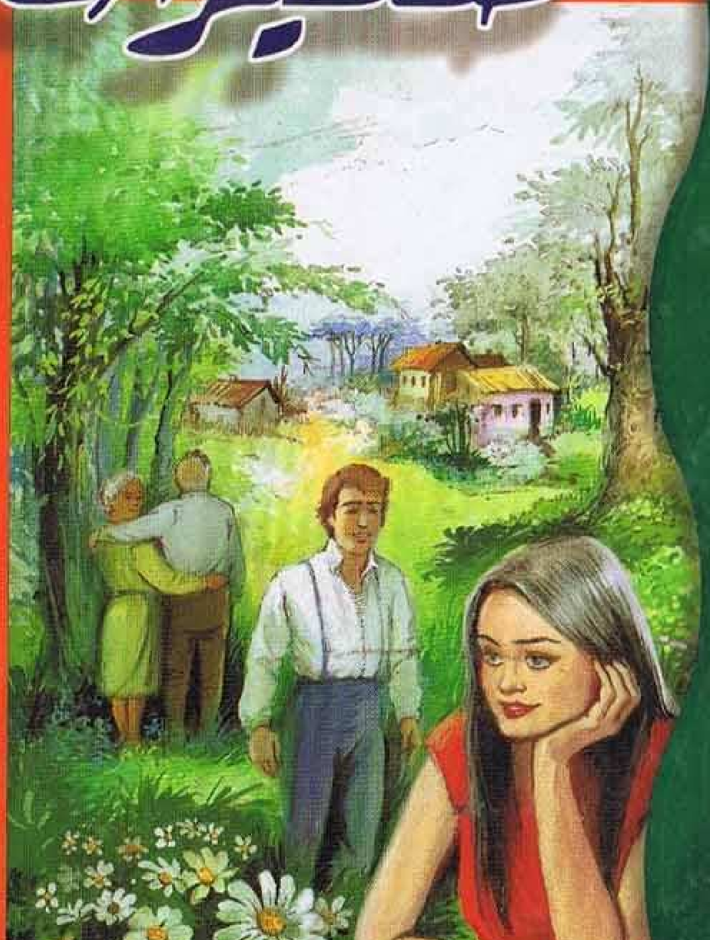
نِسَاء صَغيرات



لويزا ماي ألكوت

المكتبة العالمية للفتيان والفتيات

المكتبة العالمية

نِساءٌ صَغيرات

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

المكتبة العالمية للفتيان والفتيات

هذه الرواية

❖ أسرة مارش مكوّنة من أب وأم وأربع فتيات تتراوح أعمارهن بين العاشرة والسادسة عشرة، لكل واحدة منهن ميولها وطباعها وشخصيتها. ما المشكلات التي واجهت هذه الأسرة حين ذهب الأب إلى الحرب، وكيف عملت لتحيا حياة كريمة؟ ما كانت قصص هذه الأسرة على مدى سنوات عشر، وما كانت المفاجآت السارة والمحزنة التي عاشتها؟

ISBN 9953-9-6528-5 2.5 كتب الفتيان والفتيات

9 789953 965284 4

المكتبة العالمية

للفتيان والفتيات

نِساء صَغيرات

لويزا ماي ألكوت

مُرفقة بمجموعة من الأسئلة المنهجية والمفيدة

دار العلم للملايين

- «ليس كثيرًا يا سيدي».
- «وأنتِ لا ترينني وسيمًا كجدِّك؟»
- «ليس تمامًا يا سيدي».
- «ومع هذا فأنت تحبّينني؟»
- «نعم أحبك يا سيدي».

أُعجِبَ الرجل النبيل بالجوابِ وضحك ومدَّ يده مصافحًا. وقال وهو يتفحّص وجْهَها مومئًا برأسه: «لديكِ رُوحُ جدِّكِ وإن كان وجهُكِ لا يشبهه. كان رجلاً رائعًا وعزيزًا عليَّ. كان شجاعًا وأمينًا وكنتُ فخورًا بصداقته».

شعرت جو بالراحة عندئذٍ، وقالت: «شكرًا يا سيدي».

وراح الجدُّ يحادثُها برقّة ويسألها عن حال أمِّها، وقال إنّه سيزورها ذات يوم. وقُرِعَ الجرس معلنًا وقت شرب الشاي. فقال الجدُّ: «هيّا لنحتفلَ بعلاقة حُسْنِ الجوار». ومدَّ الجدُّ ذراعَه ليصطَحِبَها إلى قاعةِ الشاي على طريقة النُّبلاء التقليديّة.

لم يَفُتِ الجَدَّ وهو يحتسي الشاي أن يراقب الفتى والفتاة وما طرأ على حفيده من تغيُّراتٍ. لقد صار وجهُه ينبض بالحياة والنُّور، وطبعه يتدفّق بالحيوية، وضحكته تشعُّ بالمرح.

وبعد تناول الشاي اصطحب لوري صديقته جو إلى المستنبت الزجاجيّ الذي بدا لها شيئًا أشبه بالسِّحر. وفيما كانا يسيران وسط الأشجار والنباتات التي تخلب الألباب، كان لوري يقطف بعض

الورود والأزهار حتى تجمّعت في باقةٍ قدّمها إليها قائلاً: «أرجو أن تعطي هذه لأمِّك».

ودلفا إلى قاعة الاستقبال حيث كان السيد لورنس يجلس عند المدفأة. ولفت نظرَ جو بيانو ضخمٌ كان ينتصب في الغرفة، وسألتْ ملتفتةً إلى لوري: «هل تعزف؟»

وألحّت عليه جو أن يعزف لها مقطوعةً ما. وعزف الفتى عزفًا بدا لجو رائعًا. جاء الجدُّ إليهما وشكر لجو تشجيعَها لحفيده على العزف، وعبّر عن امتنانه آملاً أن تزورَهما ثانيةً. وطلب إليها أن تنقلَ تحيّاتِه إلى أمِّها.

ودّع الفتى فتاته متمنّيًا لها ليلة طيّبة واعدًا إياها بأن يزور أسرتها عندما يَبِلُّ تمامًا من مرضه.

عندما حدّثت جو أهلها عن مغامرتها بعد ظهر ذلك اليوم، شعر الجميع برغبة في زيارةٍ جماعيّةٍ للقصر، حيث كان لكلِّ فردٍ أسبابه لمثل هذه الزيارة.

لاحظتْ جو قبل خروجها من دارة آل لورنس أن الجدَّ لم يكن سعيدًا جدًّا لعزف حفيده. وهذا ما دفعها إلى أن تسأل أمَّها عن سرِّ ذلك.

فقالت لها الأمُّ: «ربما يعود ذلك إلى أن والد لوري قد أحبَّ شابّةً إيطاليةً موسيقيّةً ولم يكن الجدُّ سعيدًا بذلك. كانت جيّدة وودودةً ولكنَّ السيّد لورنس لم يكن يحبُّها، وقد تزوّج ابنه بها ورحل معها،

ولم يعد السيد لورنس يرى ابنه بعد ذلك. ومات الأبوان عندما كان لوري صغيرًا، فعاش في كنف جدِّه. ولعلَّ الجدَّ يخشى أن يفقد حفيده، وهذا ما يجعله حذرًا. إنّ حبَّ لوري للموسيقى أمرٌ طبيعيٌّ، وربّما يخشى الجدّ أن يصبح حفيدُه موسيقيًا فيذكره بالمرأة التي كرهها».

قالت جو بدهشة: «يا للسُخفِ! لماذا لا يصبح موسيقيًا إذا كان يريد ذلك؟!»

الفصل السادس

بيث تعجَبُ بالقصر

كان «البيت الكبير» قصرًا جميلاً حقًّا. وكان الجدُّ لورنس يلاطف جميع الفتيات، ويسترجع مع أمِّهنَّ ذكريات الأيّام الخوالي. وحدها بيث كانت تشعر بشيء من الرهبة منه والخجل. كانت تفكِّر بأنهنَّ فقيراتٌ ولوري غنيّ، وهي وأخواتُها يخجلن من قبولِ معروفٍ لا يستطعنَ سداده. ولكن سرعانَ ما تبدَّدت هذه المخاوف عندما قالَ الجدُّ إنه يشعر أنهن يحسنَّ إليه ويملأن حياته في حينَ أنَّه لا يقدِّم ما يكفي للتعبير عن امتنانه لهُنَّ.

ما أجملَ الأوقات التي كُنَّ يمضينها في القصر، وما أكثر المباهج والمسرّات. كانت كلُّ واحدةٍ منهن تجد ما تتمنّاه، حتى إنّ ميغ أطلقت على القصر اسم «قصر النعيم». وكنَّ يتصرّفن أثناء وجودهنَّ فيه وكأنَّهنَّ في بيتهنّ. اعتقدت بيث أن الجدَّ لورنس لا يرغب في أن يعزف أحد على البيانو، لكنّ الجدَّ عرف كيف يلاطفها ويداري مشاعرها ويدعوها إلى العزف. وألحَّ على دعوتهنَّ إلى الحضور إلى القصر في أيِّ وقتٍ يرغبْن. وعندها أحسَّت بيث بالاطمئنان والامتنان،

وأعربت عن رغبة الجميع في الحضور، وعن رغبتها الشديدة في العزف. ووجدت نفسها تعصر يده بشدّة معبّرةً عن خالص مشاعر الودّ تجاهه. قال الجدُّ بحنوٍّ بعد أن لمس شعرها:

«كانت لي فتاةٌ لها مثلُ عينيك. ليباركْكِ اللّهُ يا حلوتي».

غنّت بيث بسعادةٍ غامرةٍ في تلك الليلة وأشاعت جوًّا من المرح في البيت كلّه. وفي اليوم التالي سارعت بيث إلى القصر، بعد أن غادره الجدُّ والفتى، لـتُشْبِعَ هوايتَها وتعطُّشَها للموسيقى التي كانت تعشقها. كانت تطير فوقَ أجنحة السعادة عندما جاءت حنّة لتأخذها ظهرًا إلى البيت لتناول طعام الغداء.

قالت بيث لأمّها بعد بضعة أسابيع من تلك الزيارة الأولى المشهودة للقصر: «أمّي أريد أن أصنع للسيد لورنس زوجًا من الأخفاف. إنه رجلٌ لطيف جدًّا، وأنا أريد أن أعبّر له عن شكري».

قالت الأمُّ: «نعم يا حبيبتي هذا ما سيسرُّه كثيرًا، وهي طريقةٌ لطيفةٌ للتعبير عن امتنانك له».

وراحت بيث تعمل بدأبٍ لإنجاز هذا العمل تساعدُها في ذلك ميغ وجو، وبعدما أتمّت صنع الخُفَّين بعثت بهما مع رسالةٍ قصيرةٍ إلى الجدّ لورنس وضعتها بمساعدة لوري على مكتب الجدّ ذات صباحٍ قبل أن يصحو من نومه.

ظلّت بيث طوال يومين تترقّب بلهفةٍ ردَّ فعل السيد العجوز على الرسالة. وأخيرًا وصلتها رسالةٌ من الجدّ لورنس. صاحت شقيقاتُها

بفرحٍ غامرٍ وهنَّ يقُلنَ لها: «انظري.. انظري». نظرت بيث مذهولةً فوجدت بيانو صغيرًا وفوقه رسالةٌ كتب عليها: «الآنسة إليزابيث مارش». قالت بيث مضطربةً وقد أذهلتها المفاجأة: «اقرئي الرسالة أنت يا جو». وأخفت وجهها لشدّة سعادتها وخجلها في ثوب أختها.

فتحت جو الرسالة وقرأت:

الآنسة مارش العزيزة،

كان لديَّ الكثير من الأخفاف في حياتي ولكنني لم أنتعلِ أبدًا زوجًا يناسب قدميَّ كهذا، يا زهرتي المفضلة! هديّتك سوف تذكّرني دومًا بالإنسانة النبيلة التي قدَّمتها لي. أحب أن أسدّد لك ما عليّ ولذا أعلم أنك ستسمحين «للنبيل العجوز» أن يبعث إليك بشيءٍ كان في يومٍ من الأيام مِلك حفيدته الصغيرة التي فَقَدَها. مع تمنياتي القلبية وخالص شكري.

صديقك الممتنُّ وخادمك المطيعُ

جيمس لورنس

قالت جو وهي تحاول أن تهدِّىء أختها بيث التي بدا عليها الاضطراب: «هذا شرفٌ تفخرين به. لقد كان الجدُّ مولعًا بحفيدته واحتفظ بكلِّ حوائجها. فكّري كم هي ثمينةٌ هديَّته حين قدَّم لكِ البيانو الذي كان لها».

قالت إيمي متأثِّرة تعقِّب على الرسالة: «فكِّري فقط في خاتمة رسالته: خادمك المطيع جيمس لورنس!»

قالت حنّةُ: «هيّا جرِّبيه يا حلوتي. أسمعينا صوت البيانو».

وما كادت جو تقترح على بيث أن تذهب لتشكر للسيد لورنس هديَّته حتى انتصبت بيث شاقَّةً طريقها إلى قصر السيد لورنس. واتَّجهتْ فورًا إلى غرفة المكتب.

كانت تريد أن تقول أشياءَ كثيرةً ولكنَّ نظرات الجدِّ الحانية أنستها كلَّ شيءٍ، ولم تجد نفسها إلا وذراعاها تعانقانه، وهي تقبِّله. وأحسَّ الجدّ وهو يُجلسها على ركبته كأنّه استعاد حفيدته.

الفصل السابع

إيمي تتعرّض للمهانة

قالت إيمي ذات يومٍ وهي تتابع لوري ممتطيًا جواده وهو يضربه بسوطه: «لو أنَّ لديَّ قليلاً من المال الذي ينفقه على ذلك الحصان!»

واعترفت إيمي لشقيقتها بأنها بحاجة ماسَّة للمال لتفي ببعض التزاماتها. فتحت ميغ حقيبتها وأعطتها بعض المال كي تشتري ما تريد وتسدِّد ما عليها.

وفي اليوم التالي تأخَّرت إيمي في الذهاب إلى المدرسة قليلاً، حيثُ لم تستطع أن تقاوم إغراء عرض ما اشترته من ثمار الليمون. وسرعانَ ما سرى الخبر في المدرسة بين زميلاتها اللواتي تقاطرْن إليها. وثار الحسد في نفوس بعض رفيقاتها ومن بينهنَّ جيني سنو التي كانت تُعيِّر إيمي من قبل. وأدَّى بها الحسد إلى أن تشكو إيمي إلى المُدَرِّس السيد ديفيز واشيةً إليهِ أنّها قد جمعت ثمار الليمون في درج مقعدها.

قال المدرِّس بغضبٍ: «إنّ ثمار الليمون مادةٌ محظورةٌ» وأعلن أنَّه

سيعاقب من يخرق النظام. وطلب المُدَرِّس إلى إيمي أن تُحضر كلَّ ما في مقعدها من ثمار وتلقي بها من النافذة.

احمرَّ وجه إيمي خجلاً وحارت في ما تفعل. التفت الأستاذ إلى الفتيات مُعنِّفًا وراح يتحدَّث بصرامة عن احترام النظام. ولم تشفع لإيمي نظرات التضرُّع، فقد أصرَّ الأستاذ على معاقبتها. أحسَّت إيمي بمهانةٍ جارحةٍ لم تشعر بمثلها في حياتها جرّاءَ تعرُّضها لعقوبةٍ جسديةٍ وأدبيةٍ أمام زميلاتها.

رمقتْ إيمي أُستاذها السيد ديفيز بنظرة لومٍ حادَّةٍ وهي تخرج صامتةً من الصفِّ بعد أن انتهت عقوبتها، وانتزعت أشياءها، وخرجت عازمة على ألا تعود. وعندما وصلت إلى البيت كانت على درجة كبيرةٍ من الحزن. انزعجت شقيقاتُها لما حدث ولم تملك السيدة مارش إلا أن تواسيها ببضع كلمات.

لم يلاحظ خروجَ إيمي من المدرسة إلا بعض زميلاتها، ولكنَّ السيد ديفيز كان عصبيًّا على نحو غير عاديٍّ بعد ظهر ذلك اليوم. وقبل أن تغلق المدرسة أبوابها وصلت جو حاملةً رسالةً من أمِّها إلى المدرسة وراحت تجمع حاجاتِ أختها.

قالت السيدة مارش في ذلك المساء: «أنا لا أُقرّ العقوبة الجسدية وبخاصّةٍ للبنات» وأذِنت السيدة مارش لابنتها أن تأخذ إجازة من المدرسة على أن تدرس كلَّ يوم مع شقيقتها بيث. ومع هذا فقد وبّخت السيدة مارش ابنتها لأنّها خرقت الأنظمة وإن كانت لا تقرُّ أسلوب العقوبة الذي تعرّضَتْ له.

الفصل الثامن

جو تقابل الشيطان

تأهَّبت الأختان الكبريان ميغ وجو لمغادرة المنزل للذهاب إلى المسرح بدعوةٍ من لوري لمشاهدة مسرحية «القلاع السبع». أدركت إيمي ذلك وطلبت إليهما أن يصطحباها معهما. رفضت الأختان اصطحابها لأنها لم تكن مدعوَّةً، ولأن ذهابها معهما قد يحرج لوري. توسَّلت إليهما إيمي بحرارةٍ، ولكنَّ جو رفضت بإصرارٍ، في حين قالت لها ميغ: «بوسعك أن تذهبي مع بيث وحنةَ الأسبوع المقبل».

بكت إيمي متوسِّلة ولكن دموعها ذهبت سدى. وعندما شعرت بعبث توسُّلاتها قالت لجو مغتاظة: «ستندمين على ذلك يا جو مارش!»

كانت المسرحية رائعةً بزخارفها وأجوائها وممثليها، ولكنّ ذلك لم يمنع جو من أن تشعر بغصّةٍ وهي تفكّر: ماذا تستطيع إيمي أن تفعل كي تجعلها تندم!

عندما عادت الأختان من المسرح إلى البيت كانت إيمي تقرأ في كتابٍ، وكانت ملامح وجهها تدلُّ على أنها لا تزال مكسورة الخاطر.

بعد ظهر اليوم التالي تفقَّدت جو مكتبتها فلحظت أنَّها تنقص كتابًا. سألت شقيقاتِها الثلاث اللواتي كن مجتمعاتٍ معًا عن الكتاب فَنَفَتْ ميغ وبيث معرفتَهما به، في حين سكتت إيمي. وجَّهت جو السؤال مباشرة إلى إيمي فأنكرتْ أنّها أخذته. وسرعانَ ما نشبت مشادَّةٌ بين الأختين. وأمام إصرار جو التي كانت حريصة على الكتاب وعلى إتمامه قبل عودة والدها، اعترفت إيمي بأنها أحرقته تشفّيًا من موقف جو بالأمس.

صاحت جو وهي تبكي غاضبةً وحزينةً معًا وقد أخذت تهزّ كتفي إيمي بيديها: «أنت فتاةٌ شريرةٌ.. شريرةٌ. لن أغفر لك هذا أبدًا».

اندفعت ميغ لتنقذ إيمي من بين يدي جو، فيما أخذت بيث تهدّىء من ثورة جو.

عندما عادت السيدة مارش إلى البيت وعلمت بالقصَّة استدعت إيمي ووبَّختها على فِعلتها، وعرَّفتها بقيمة الكتاب بالنسبة لجو التي استغرقتها كتابتُه بضع سنوات. كان عملها واعدًا وجيدًا، والآن ضاع كلُّ شيءٍ، لأنّ جو لم تكن تحتفظ إلا بنسخةٍ واحدة.

بدت إيمي شديدة الحزن والأسف وقت تناول الشاي وحاولت أن تعتذر لأختها جو بحرارة، ولكنَّ الأخيرة رفضت اعتذارها بإصرار وقد

بدت علاماتُ الغضبِ على وجهها. قالتِ الأمُّ برفقٍ وهي تقبّل ابنتها جو قبلة المساء: «لا تدعي النهار يفوت يا غاليتي وأنت غاضبة. فلتسامحْ إحداكما الأخرى وابدأا يومًا جديدًا».

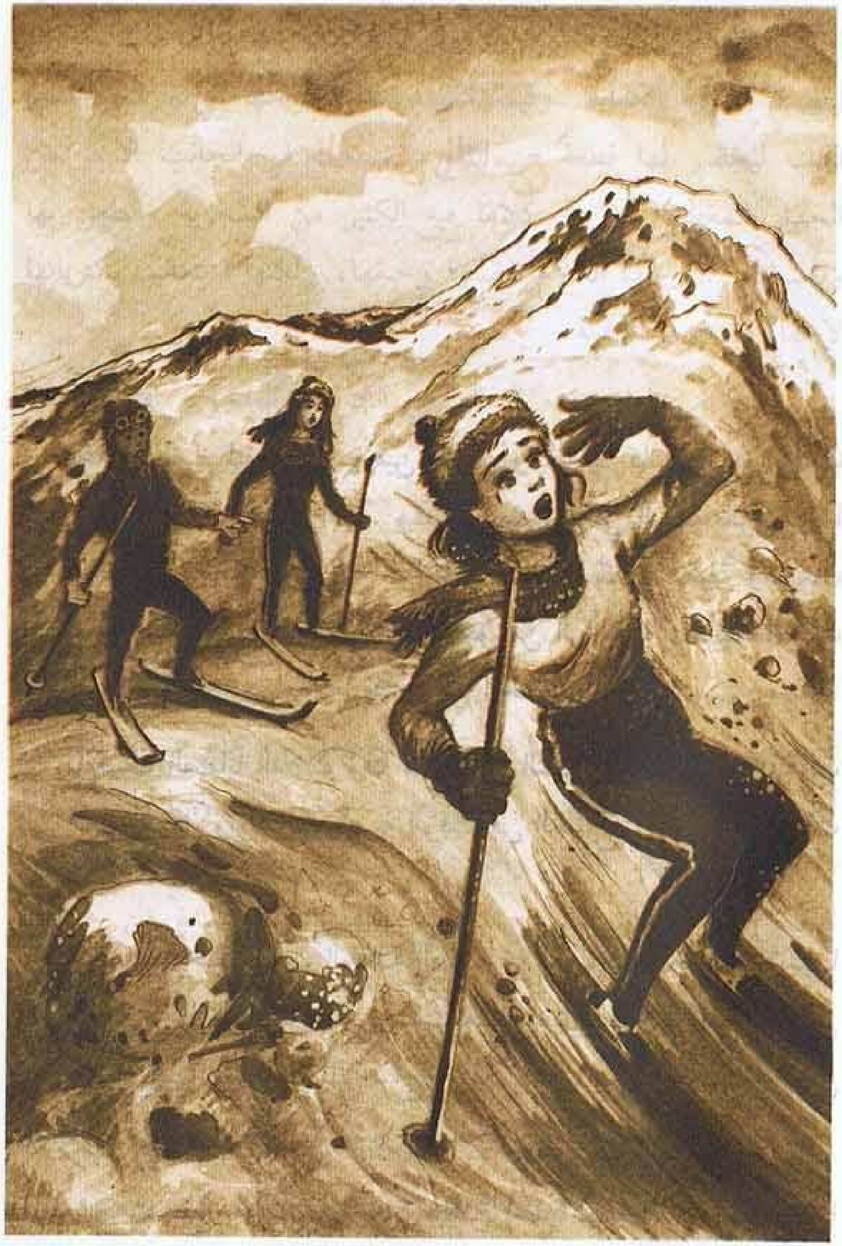
في اليوم التالي ظلَّت جو مكفهرَّة الوجه غير قادرة على أن تنسى ما حصل. وعزمت على أن تذهب إلى التزلّج مع لوري لعلَّ ذلك يواسيها. حاولت إيمي أن تعلّق على قرار أختها، ولكنَّ ميغ نهرتها وقالت لها أن تذهب خلفهما وأن تنتظر حتى تستعيد جو مزاجها الطيّبَ مع لوري وتُقبّلها.

لحقتْ إيمي بهما. واستعدَّ كلاهما للتزلُّج قبل وصول إيمي إليهما. قال لوري إنَّه سيذهب إلى المنعطف الأول ليستطلع المنحدر قبل أن يبدأ التزلّج.

صاح لوري مُحذِّرًا إيمي وهو يراها تتعثَّرُ في تزلُّجها: «لا تقتربي من حافة النهر فالمكان غير آمنٍ في المنطقة الوسطى». لم تسمع إيمي تحذيره، وسرعان ما سقطت في كومةٍ من الثلج وهي تطلق صرخةً جعلت قلب جو، التي تنبَّهت لسقطتها، يكاد يتوقفُ من الرّعب. حاولت أن تستنجد بلوري ولكنَّ صوتها ذهب هباءً. وتمالكت قواها رغم شعورها بالعجز والألم.

صاح لوري فجأةً: «أحضري قضيبًا بسرعةٍ.. هيّا بسرعة».

وتعاون الاثنان على نقل إيمي إلى المنزل، وهما يبكيان وقد تملَّكهما الرُّعب، ووضعاها قرب المدفأة وغطّياها بأغطيةٍ سميكة.



قالت جو وقد اغرورقت عيناها بدموع الأسى والندم: «أمّاه، إذا ماتت إيمي، لا سمح الله، فستكونُ غلطتي!» وألقت جو باللوم على طبعها السيّـيء وقالت باكية: «بربّكِ يا أمّاه ماذا أفعل؟» أخذت الأمُّ تواسي جو الحزينة بكلماتٍ طيّبةٍ تعيد لها الطمأنينة والثقة بالنفس.

تنهدَّت إيمي وهي نائمةٌ. قالت جو نادمةً بصوتٍ مسموعٍ: «ويحي! لقد سمحت لنفسي أن يمرَّ عليّ النهار وأنا غاضبةٌ. كم كنت شرّيرةً حين لم أغفر لها!» وانحنت فوق أختها وهي تمسح بيدها شعرها الرَّطب برقَّة. فتحت إيمي عينيها وفتحت ذراعيها بابتسامةٍ اخترقت قلب جو. وسرعان ما تعانقتا بقوةٍ، وانتهى كلُّ شيءٍ بقبلة أخويّةٍ حارَّة.

الفصل التاسع

مَتاعُ الغرور

غادرت ميغ لتقضي أسبوعين للتَّرفيهِ والمُتْعة. كانت أسرة موفات تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية. وقد شعرت ميغ في البداية بالرَّهبة إزاء روعة المنزل وأناقة قاطنيه. ولكنَّ عائلة موفات كانت لطيفةً وسرعانَ ما تُشعر ضيفَها بالراحة. وفي هذا الجوِّ من الراحةِ والطمأنينةِ أخذت ميغ تقلّد طباع مَن حولها وطريقتهم في الحديث.

أمضت الصبايا الثلاث وقتًا ممتعًا في التسوُّق والمشي، والذهاب إلى المسرح والأوبرا، أو تمضيةِ الوقت في المسرح والمزاح في البيت مساء.

وعندما حان وقت الحفلة الصغيرة، شعرت ميغ أنّ ملابسها المتواضعة لا تليق بالمناسبة. أحسَّت ميغ بمعنى نظرات الفتيات سالي وآني وبيل إليها وشعرت بالإحراج. ولكنَّ الفتيات كنَّ دمثاتٍ ورُحْن يساعدنها في زينتها حتى لا يُشعرنها بالخجلِ والإحراج.

شعرت ميغ بالأسى لفقرها. ولكنَّ أساها سرعان ما تبدَّد عندما

وصلتها باقة من الأزهار هديّةً من لوري. وشعرت بسعادةٍ أكبر وهي توزّع الورود والأزهار على رفيقاتها. استمتعت ميغ بليلتها تلك بعد أن رقصت ما فيه الكفاية. وفيما كانت تنتظر شريكها في الرقص الذي ذهب ليُحضر لها قطعةً من الثلج، سمعت في الجانب الآخر من الجدار المغطّى بالأزهار كلامًا فيه الكثير من السُّخرية والطعن بها وبأسرتها. أثار هذا الكلام غضبها وحنقها، ولكنها استعانت بكبريائها لإخفاء مشاعرها الدفينة.

وفيما هي على هذه الحال من الكرب والخجل، اقتربت منها الآنسة بيل وقالت لها إنها أرسلت دعوةً إلى صديقها السيد لورنس لحضور حفلة يوم الخميس. ولكنَّ ميغ أفهمتها أن لوري ليس صديقها. وهنا تدخلت سالي محاولةً تغيير مجرى الحديث وسألتها عما ستلبس في الحفلة. وشعرت ميغ مرة أخرى بالإحراج، ولكنَّ بيل ألحّت عليها أن تقبل بارتداء ثوب من ثيابها يليق بها. وفي ليلة الخميس كرّست بيل نفسها مع خادمتها لجعل ميغ تبدو سيدةً رائعةً في أحسن حُلَّةٍ، وأبهى زينةٍ، وأجمل حلية. وعندما أوصلتها بيل إلى قمّة ما تريد قالت لها: «تعالي وأظهري نفسك». وراحت ميغ تختطر بثوبها الجميل وزينتها البهيّة وهي تستمتع بالنظرات الحاسدة من حولها. قالت لها سالي: «إنك جميلةٌ جدًا وتبدين كآنسة فرنسية. ولكن حاذري أن تتعثّري». نزلت مارغريت السُّلَّم بتؤدة وانضمَّت إلى حيث تجمّع عددٌ من الضيوف وأفراد عائلة موفات. أصابت الدهشة كثيراتٍ ممَّن لم يُعِرنها انتباهًا من قبل. وكثيرٌ من السادة الذين كانوا لا يُعيرونَها اهتمامًا باتوا يطلبون التعرّف بها. وفيما كانت ميغ تلوّح

بمروحتها وتضحك، إذ بها وجهًا لوجه أمام لوري. كان يحدّق فيها بدهشة ظاهرة وبعدم رضى. انحنى لها وابتسم ولكنَّ شيئًا ما في عينيه جعلها تحمرُّ خجلاً وتتمنى لو أنها كانت ترتدي ثوبها القديم. قالت له:

- «أنا سعيدةٌ بقدومك. كنت أخشى ألاّ تأتي».
- «جو أرادتْ أن أحضر وأخبرها كيف كان مظهرك».
- «وماذا ستقول لها؟» تساءلت ميغ بشيءٍ من الضّيق.
- «سأقول لها إني لم أعرفك لأنك تبدين أكبر من سنِّك ولم تعودي أنت».
- «يا للسُّخف! الفتيات ألبسنني كي أمرح. ألا تحبُّني كذلك؟»

أجابها لوري بطريقةٍ فظّةٍ: «لا».

انزعجت ميغ من طريقة تعبيره التي خلت من أية علامة من علامات أدبه المعتاد. قالت مغتاظةً وهي تغادر مكانها: «أنت أوقح فتى رأيتُه». ومشت إلى النافذة كي تستشعر شيئًا من البرودة. وسرعان ما اقترب منها لوري شاعرًا بالندم وقال لها:

- «أرجو أن تغفري لي وقاحتي وأن تقبلي بالرّقص معي. تعالي». ومدَّ إليها يده. ابتسمت ميغ ومشيا معًا بعيدًا. ورجته ميغ ألاّ يخبر أحدًا من أهلها عن ثوبها في تلك الليلة وقالت إنّها ستخبرهنّ بنفسها.

وفيما هما يتجاذبان أطراف الحديث بثقةٍ ومودّةٍ اقترب منهما نيد

موفات ليطلب يد ميغ للرّقص، فتركهما لوري ولم يتدخّل إلا عندما أسرفت ميغ في تناول المشروباتِ الروحيّة.

شعرت ميغ بالمرض طوال اليوم التالي. وعادت يوم السبت إلى بيتها وهي تشعر بالراحة والسكينة. وراحت تقصُّ مغامراتها مبتهجةً وتروي عن الأوقات السعيدة التي أمضتها. ولكن ما إنْ مضت شقيقتاها الصُّغريان إلى النوم حتى ذهبت إلى حضن أمّها لتعترف بكلِّ الأشياء الشنيعة التي اقترفتها لدى أسرة موفات. وراحت تروي لها كلَّ ما حدث بكلِّ التفاصيل.

قالت الأمُّ تلوم نفسها: «لم يكن من الحكمة أن أسمح لك بالذهاب إلى أناسٍ لا أعرف عنهم إلاّ القليل، أناسٍ يفتقدون التهذيب، ولديهم الكثير من الأفكار المبتذلة».

أطرقت ميغ تفكّر بما فعلتْ وبما تسمعُ ثم سألت أمَّها: «أحقًّا لديك خِطَطٌ كما قالت السيدة موفات؟» قالت الأمُّ: «نعم يا عزيزتي. لديّ الكثير من الخطط، وكلُّ الأمّهات لديهنَّ خططٌ. ولكنَّ خططي تختلف عما تفكّر فيه السيدة موفات. أريد لِبناتي أن يكُنَّ جميلاتٍ وطيباتٍ، وأن يكنَّ موضع إعجابٍ وحبٍّ واحترام وأن يعشن حياةً سعيدةً وأن يتزوّجن زيجاتٍ عاقلةً. أنا ووالدكَ على ثقة بأنَّ بناتنا، سواءٌ كنَّ عازباتٍ أو متزوجاتٍ، سيكنّ فخرًا لنا وراحةً لحياتنا».

صاحت ميغ وجو معًا: «سنكون كذلك يا أمّاه، نقسمُ لكِ أنّنا سنكون كذلك».



الفصل الواحد والعشرون

شائعة

لم يطرأ كثيرٌ من التبدُّلات طوال السنوات الثلاث التالية على الأسرة الهادئة. انتهت الحرب وعاد السيد مارش آمنًا إلى بيته. أمّا جون بروك فكان يكافح برجولة، ويكرّس نفسه للعمل كي يوفّر منزلاً لميغ. وبسبب عصاميّته الشديدة رفض أكثر من عرضٍ سخيٍّ من قبل السيد لورنس، وآثر أن يكدَّ معتمدًا على نفسه.

أما ميغ فقد كانت تمضي الوقت بين العمل والانتظار، وتزداد خبرةً بشؤون المنزل كما تزداد جمالاً. وكان المستقبل يزداد إشراقًا حين كانت تجلس مع جون عند الغروب وهما يتحدثان عن مشروعاتهما الصغيرة.

وامتنعت جو عن الذهاب إلى بيت العمّة مارش وقد آثرت إيمي التي عرفت كيف تسايرها، وتفرّغت للأدب، الذي كان يَدُرُّ عليها بعض النقود. أما لوري الذي كان قد التحق بالكلّية إرضاءً لجدّه، فقد بات شغوفًا بها إرضاء لمستقبله.

صار اسم البيت الذي هيّأه السيد بروك لميغ «برج الحمام». كان بيتًا مُنمْنَمًا ذا حديقةٍ صغيرةٍ خلفه ومدخلٍ معشوشبٍ ضيّقٍ أمامه، حيث أرادت ميغ أن تزرع الأزهار والشُّجيرات الخضراء الصغيرة، وفي وسطها نافورة ماء. لم يكن البيت باذخًا ولكنه كان ساحرًا بأثاثه البسيط وترتيبه الأنيق.

قالت السيدة مارش تسأل ابنتها وهي تتأبط ذراعها وتدخل معها المملكة الجديدة: «هل أنت راضية؟ هل يبدو لك منزلاً لائقًا وتشعرين بأنك ستكونين سعيدة هنا؟» وكان جواب ميغ أنها تشعر بسعادةٍ لا توصف، وأنّ الفضل في ذلك يعود إلى كلٍّ من حولها. وتابعتْ مع أمِّها وأختها بيث تفقُّد أرجاء المنزل، ورحن يتندّرن حول مواقف العمّة مارش من حرمان ميغ هديّة الزواج.

كان الجميع في انتظار لوري في زيارته الأسبوعية التي تعتبر حدثًا مُهمًّا في حياة تلك الأسرة الوادعة. ويأتي لوري حاملاً معه هديّةً مُغلّفةً إلى ميغ. ولمّا لاحظ نظرات الدهشة والاستفسار في عيون مَن حولَه، قال: «إنها شيءٌ مفيدٌ للمنزل في حالة الحريق أو السَّرقة. وما عليك إلا أن تهزّي هذا الجهاز إذا ما شعرت بالخوف حتى يوقظ الجوار في الحال». وجرَّب لوري الجهاز أمامهنَّ إثباتًا لكلامه.

استفردت جو بلوري قليلاً وسألته تغيير سلوكه. وقالت له إنه يبدِّد كثيرًا من المال على الآخرين، وإنّ كرمه الزائد وطيبة قلبه يجعلان الآخرين يطمعون في ماله. وانتقدت جو إسرافه في ملابسه وتأنُّقه المفرط.

كانت لهجة جو أقرب إلى التقريع، ومع هذا لم يُبد استياءً وأخذ الموضوع بشيءٍ من المزاح كعادته. وحاول أن يُغيّر مجرى الموضوع بالحديث عن فتى صغيرٍ يدعى باركر مولع بإيمي. وقال إنه يتحدث عنها دائمًا ويكتب لها الشّعر. ولعل من الأفضل أن يضع حدًّا لهذا الموضوع من البداية.

قالت جو بشيءٍ من الحدَّة: «طبعًا فنحن لا نريد زيجةً أخرى في عائلتنا حتى سنواتٍ مقبلات». قال لوري: «الأيام تمضي بسرعةٍ والدَّور الآتي دورك».

قالت جو: «لا تفزع، لا أحد يريدني».

قال لوري وهو ينظر إلى جو نظرةً ذات معنى: «إنّك لا تدعين فرصةً لأحدٍ، ولا تظهرين الجانب الرقيق من شخصيتك. وإذا ما وجد أحدهم بصيصًا من نور وحاول أن يبدي إعجابه سرعان ما تحبطينه، وتحتدُّ طباعك بحيث لا يعود أحدٌ يجرؤ على لمسك أو النّظر إليك».

قالت جو محتدَّةً: «أنا لا أحبُّ تلك الأشياء. أنا مشغولةٌ جدًّا ولا وقت عندي لمثل هذا الهراء. لا تقلْ مزيدًا في هذا الموضوع، فعرس ميغ يشغلنا جميعًا».

قال لوري وهو يودّعها عند البوّابة: «تذكّري يا جو أنّك التّالية».

الفصل الثاني والعشرون

العُرسُ الأوّل

بدت ميغ كوردةٍ متفتّحةٍ مثل أزهار حزيران في ذلك اليوم. قالت ميغ إنّها لا تريد الملابس الزاهية ولا عرسًا من الأعراس المتعارف عليها. إنّها تريد عرسًا لمن تحبُّهم وتشعر بذاتها بينهم. أعدّت ميغ ثوب عرسها بنفسها. وكانت الحلية الوحيدة التي تقلّدتها زنابق الوادي التي يحبُّها جون أكثر من أية أزهارٍ أخرى.

قالت إيمي وهي تُقلّب نظرها في أختها بإعجابٍ: «إنّك تبدين كميغ التي عهدناها دومًا مع فارقٍ واحدٍ هو أنّك اليوم جميلة جدًّا ورقيقة جدًّا، وكم أودُّ أن أعانقك لولا خوفي من أن أفسد ثوبك». فتحت ميغ ذراعيها لشقيقاتها وقالت: «قبّلنني ولا تبالين بثوبي».

بدت شقيقات العروس الثلاث في أبهى حلّةٍ وأجمل زينةٍ بلباسهنّ الفضيّ ووجوههنّ النضِرة المستبشرة.

لم تكن هناك كما اتُّفق مظاهر احتفاليةٌ، وكان كلُّ شيءٍ يبدو طبيعيًّا. ولهذا استهجنت العمّة مارش عندما وصلت أن تجد العروس

وهنا لاذت إيمي بالصَّمت.

وتابع لوري سؤاله عن طبيعة علاقتها بفْرِد، وعن صحّة ما تردّد من شائعاتٍ حول علاقتهما، وهل كانت تقبل به إذا ما تقدَّم لخطبتها. فأجابته بأنّ هذا ممكن. ودافعت عنه حين وصفه لوري بالرَّجل غير المناسب لها، وقالتْ له إنه غنيٌّ ونبيل وطباعه مريحة.

شعرت إيمي بأنّ لوري قد اغتاظ من حديثها، ولكنها عزمت على متابعة الحديث معه بطريقةٍ استفزازيةٍ، وقالت له إنها وصديقتها يصفانه بلورنس الكسول. وتابعت قائلةً: «إنني أكره ما تفعل».

انقضّ لوري وسألها: «أنا كسولٌ! لماذا؟»

ـ «لأنّك مع كلِّ فرصةٍ تتاح لك كي تكون جيّدًا ومفيدًا وسعيدًا، أراك عكس ذلك، وأنت تُضيع وقتك عبثًا بأشياءَ تافهةٍ، وتهتمُّ بسفاسف الأمور». وتابعت بلهجةٍ هي أقرب إلى التقريع: «ومع ما أوتيتَ من مال وموهبةٍ ومركزٍ وصحّةٍ ووسامةٍ فإنّك تُضيِّع وقتك سدًى، بدلاً من أن تكون الرجل الذي ينبغي أن تكونَهُ».

لم يأخذ لوري ما قالته له إيمي على محمل الجدّ. وشعر بما تعانيه إيمي من مرارةٍ وبصدقِ ما تقول، فاقترب منها، ووعدها بأنّه سيكون عند حسن ظنِّها.

شعرت إيمي أنها اشتطّت قليلاً في تقريعها لوري، وحاولت أن تخفِّف من لهجتها، وربما سرّها ضمنًا ألاّ تجد في يديه أيَّ خاتم سوى الخاتم البسيط الذي كانت أختها جو قد أهدته له. وقالت له

كأنّما تحاول أن تراضيه: «أعرف يا لوري أنك لو لم تكن أرقَّ رجلٍ في العالم لما تحمّلتَ كلامي، فنحن فخورون بك أبدًا».

تطرّق الحديث بينهما إلى جو. وأثار هذا الحديث شجون لوري وآلامه، فقال لإيمي بلهجةٍ مرّةٍ: «هل تعتقدين أنَّ جو يمكن أن تزورني كما تفعلين أنت الآن؟» فقالت له إيمي: «أجل، إذا رأتك على هذه الحال. إنّها تكره الكسالى، فلماذا لا تقوم بشيءٍ رائعٍ يجعلها تُحبُّك؟»

قال لوري وهو يضع رأسه بين يديه: «قولي ما تشائين. إن كنت قد فشلت فلأنَّ جو لم تبادلني الحبّ».

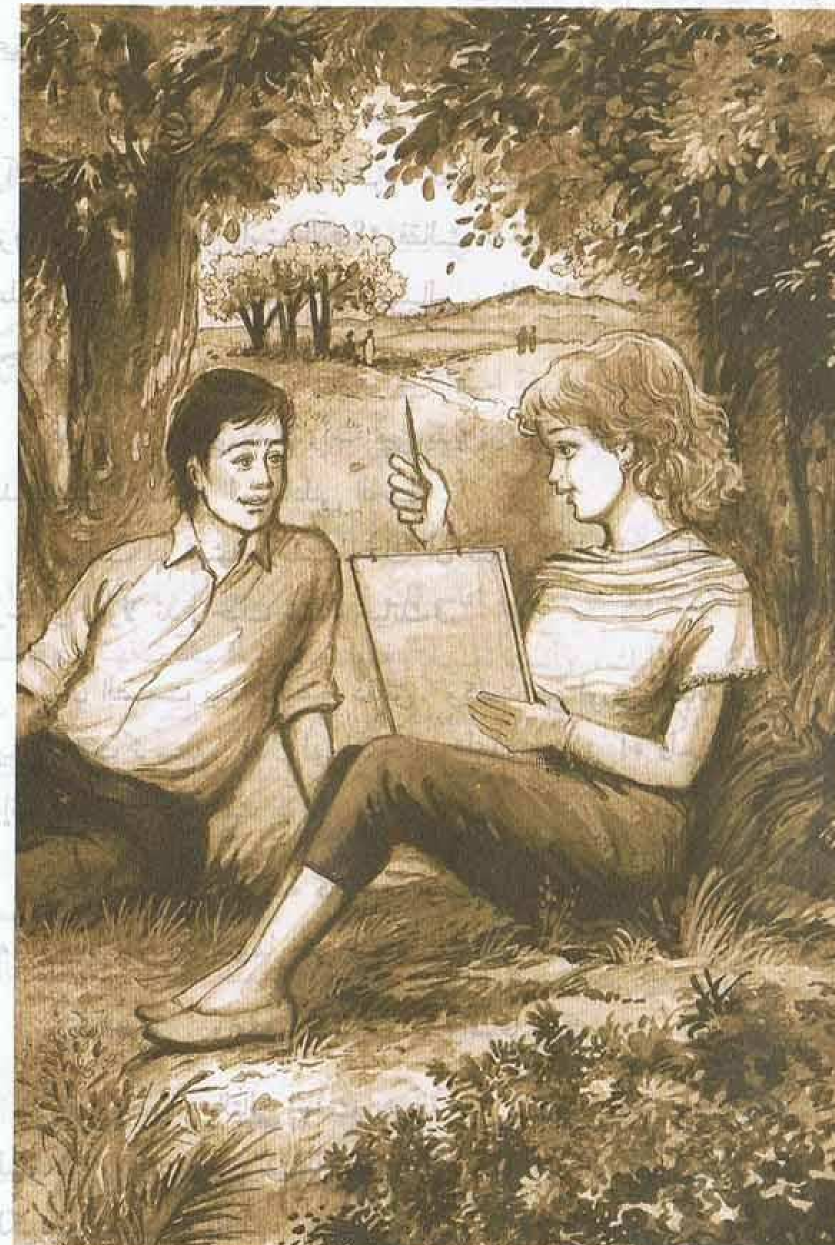
ـ «أنت لم تفشل. باستطاعتك أن تفعل شيئًا إذا حاولت. حاول وسترى. ولا تدع حبّك يفسد حياتك».

ران الصّمت بينهما لبضع دقائق. وكانت من لوري التفاتة ليرى أنَّ إيمي كانت ترسمه. فقال لها ساخرًا: «أهذه صورتي!» فأجابته إيمي: «إنها صورتك كما أنت الآن».

وتناولت صورةً قديمةً كانت قد رسمتها له عند بداية تعرُّف الأسرة به، وجعلته يقارن بينهما حتى يدرك الفارق بنفسه.

وتضاحكا.. وعادا إلى البيت.. وافترقا.

وفي الصباح التالي تلقَّت رسالةً من لوري، بدلاً من المكالمة المعتادة، تركت في نفسها غصّة. أعلمها في الرّسالة أنّ «لورنس الكسول» سيلتحق بجدِّه، وتمنّى لها السعادة في فالروزا مع فْرِدْ ڤون.



الفصل الخامس والثلاثون

وادي الظلّ

بعدَ الصَّدمة الأولى، وبكلِّ مودَّةٍ ومحبَّةٍ، حاول كلُّ فردٍ في الأسرة أن يساعد الآخر في أوقات الشدَّة. لقد وضعت الأسرة أحزانها جانبًا وراح كلُّ فرد يضطلع بدوره لجعل السنة الأخيرة لبيث سنةً سعيدة.

أُعدّت أفضل غرفة في المنزل لبيث، وكانت تضمُّ كلَّ ما ترغب فيه: أزهارها المفضَّلة، لوحاتها، البيانو الذي تعزف عليه، أشغالها، وقططها. وكان الجميع يسعى لإسعادها.

في هذه الغرفة كانت ترقد بيث ساكنةً، ولكنَّ أصابعها الرقيقة لم تتوقف عن العمل. فقد كان يُبهجها أن تضع أشياءَ صغيرةً لتلاميذ المدرسة الذين يمرّون بالقرب من نافذتها جيئةً وذهابًا. وكانت سعيدةً بالعناية التي تلقاها من كلِّ مَن حولها، وخصوصًا عندما يتجمّعون في غرفتها المشمسة. وكأنّ هذه السكينة التي ملأت نفوس أفراد الأسرة كانت فترة تمهيدٍ لاستقبال الساعات الصعبة المقبلة، ذلك أن بيث كانت تزداد ضعفًا يومًا بعد يوم بحيث لم تعد تقوى حتى على حمل

الإبرة، وتنزعج من الأصوات الصادرة بين حين وآخر، وكانت صرخات الاستغاثة من الألم تمزِّق قلوب أهلها.

قالت بيث لأختها جو: «أشعر أنني أقوى عندما تكونين إلى جانبي». ومنذ ذلك الحين لم تعد جو تفارقها. كانت تنام على الأريكة بالقرب منها، وتقوم بكلِّ ما تحتاج إليه من الرعاية. وكانت سعيدةً كل السعادة بما تقوم به من أجل أختها. ولكن بيث كانت صامتةً دومًا حزينةً دومًا، وكأنّما تحاول أن تُبعد نفسها عن حياتها القديمة وتُهَيِّىءَ نفسها لتقبّل حياةٍ جديدةٍ، من خلال الدعوات والصلوات والموسيقى التي أحبّتها.

ولّت أيام الربيع. وباتت السماء أكثر إشراقًا والأرض أشدَّ خضرةً، وفاحت الأزهار وعادت الطيور لتقول وداعًا لبيث التي كانت تتشبَّث بأيدي مَن حولَها كطفل وديعٍ، فيما يقودها أبوها وأمُّها بحنانٍ عبر وادي الظلِّ ويسلِّمانها إلى الله.

وفارقت بيث الحياة من دون وداعٍ، وقد ارتسمت على وجهها الرقيق نظرةُ حبٍّ بريئة.

وفارقها أهلها بالدموع والصلوات، والحزن يعتصر القلوب. كان وجهها، وهي مُسجّاةٌ على فراش الموت في طريقها إلى رقدةٍ طويلةٍ بلا ألم، وجهَ ملاكٍ طيِّب. كان الموت راحةً لبيث الحبيبة، وهذا ما خفَّف الألم والعذاب عن أسرتها.

لقد اختار الله بيث إلى جواره، وها هي ترقد بسلامٍ، وقد ارتسمت السَّكينة على وجهها.

الفصل السادس والثلاثون

السلوانُ والحبُّ المتجدِّد

كان لمحاضرة إيمي مفعولُها الجيِّد على لوري وإن لم يستوعبها إلا بعد حين. فقد عاد إلى جدِّه وكرَّس نفسه له بضعة أسابيع. واقتنع لوري بينه وبين نفسه أنه كان أنانيًا وكسولاً حقًّا. وشعر بأنه إذا كان قد خسر حبَّ جو، إلاّ أنّه يستطيع أن يكسب احترامها وإعجابها. وفكَّر لوري في تعلُّم الموسيقى، فذهب إلى فيينا لهذه الغاية، ولكنَّه وجد طريق الموسيقى طويلاً. وفكَّر بالمسرح، وأعرض عنه. وتساءل عمّا يمكن أن يختار، وكان عليه أن يجيب عن هذا السؤال الصّعب.

كان لوري يعتقد أن نسيان جو قد استنفد كلَّ طاقته، لكنَّه اكتشف مع الوقت أنّ عاطفة المراهقة المشبوبة قد تحوَّلت إلى عاطفةٍ هادئةٍ، ومودَّة أخويّةٍ لا تشوبها شائبةٌ وتدوم أبدًا.

انشرحتْ نفسه عندما لمعتْ في ذهنه فكرة المحبة الأخويّة. وابتسم وهو يُحدِّق في صورة موزارت وقال: «إنه رجلٌ عظيمٌ، فعندما لم يحصل على إحدى الأختين كان قانعًا سعيدًا بالأخت الأخرى». ورغم ما توصّل إليه من قناعةٍ إلاّ أنَّ صورة جو ظلّتْ تداعب خياله.

وكتب إلى جو يستطلع رأيها في العودة ليَعيشا معًا فأجابته جو بالرَّفض لأنَّ حزنها على بيث يملأ حياتها، ورجته أن يَـنْشُد السعادة مع واحدة غيرها، كما رجته ألاّ يُخبر إيمي بما حدث لبيث. وكان على لوري أن يراسل إيمي باستمرار كي لا تشعر بالوحدة أو القلق.

وصلَتْ رسالةُ لوري إلى إيمي، فسارعَتْ إلى الرّدّ برسالةٍ بعثت بها إليه تقول فيها: إنّها تُحِسُّ بالغربة فعلاً، وتحتاج إلى من ينقذها من وحدتها، وإنها قد أنهت علاقتها بفْرِد معيدةً كلمات لوري: «إن فرِدْ إنسانٌ جيدٌ ولكن ليس بالرجل المناسب لك أبدًا». وظلّت هذه العبارة تتردَّد في ذاكرتها ومعها صورة لوري وهو يردِّدها أمامها.

لم تعد إيمي تلقي المحاضرات على لوري، بل باتت تستأنس برأيه في جميع الأمور. وكانت تهتمُّ بكلِّ ما يفعل، وتواظب على مراسلته. وتابعت هواية الرَّسم التي كانت تستغرق جانبًا كبيرًا من وقتها. هذا الاستغراق جعل العمَّة تعتقد أنّ إيمي حزينة على رفضها لطلب فرد يدها، ولكنَّ الحقيقة هي أنَّ ما كان يشغل بال إيمي هو شيءٌ آخر، وهو أن يعلم لوري أنّ فْرد قد غادر إلى مصر.

عندما وصل الخبر الحزين عن بيث إلى إيمي كانت قد سافرت إلى سويسرا عن طريق جنوة والبحيرات الإيطالية، ولكنّها كانت تشعر بالضّجر والأسى وتتوق إلى العودة إلى الوطن. وكانت تتطلّع كلَّ يومٍ إلى البحيرة بتوقٍ وهي تنتظر لوري كي يأتي ليواسيها.

كان لوري في ألمانيا. وما إن وصلته الرسالة حتى سارع بالسَّفر إلى حيث تقيم أسرة كارول ليقابل إيمي.

في حديقةٍ غنّاء عند تخوم البحيرة كانت إيمي تجلس حزينةً قلقةً تفكِّر في بيث وفي لوري. ولم تسمع خطاه وهو يقترب منها عبر ممرّات الحديقة. انتصب أمامها لوري وهو يحدِّق فيها وكأنّه يراها لأوَّل مرة. وعندما رفعت ناظريها وشاهدته اندفعت نحوه غير مصدِّقةٍ وهي تقول: «أوه! لوري.. لوري. كنت أعرف أنك ستأتي». وقف كلاهما صامتًا لبرهة. كان قلباهما مفعمين بالسَّعادة.. أحسّت إيمي أنْ ما من إنسانٍ يمكن أن يواسيها ويشدَّ من أزرها مثل لوري، وشعر لوري بدوره أنّ إيمي هي الفتاة الوحيدة في العالم التي يمكن أن تحتلَّ مكان جو وتسعده. ولم يفصح أحدهما للآخر بمكنون قلبه، ولكنَّ كليهما كان يحسُّ بهذه الحقيقة.

قالت إيمي: «إنّها لمفاجأة أن أفتح عينيَّ فأراك في وقتٍ بدأتُ أخشى ألاّ تأتي».

فقال لوري: «لقد جئتك لمّا علمت بالخبر. ليتني أستطيع أن أقول شيئًا لأواسيَك بوفاة العزيزة الصغيرة بيث..» واختنقت الكلمات في حلقه ولم يجد سوى أن يعصر يدها بحنانٍ.

وسارا معًا في أرجاء الحديقة التي تناثر فيها العشّاق. وشعرت إيمي بأنها خلّفت وراءها مشاعر الوحدة والأحزان.

أمضى الاثنان أوقاتًا مليئةً بالبهجة والسعادة، وشعر لوري باستحالة حبِّ امرأة أخرى غير إيمي. ولم يكن بحاجةٍ إلى أن يفصح لها عن حقيقة مشاعره، فقد أحسّت بذلك من تلقاء نفسها وأعطته

ـ «وهل أستطيع أن أسافر قبل أن أودِّع من كانوا في غاية الطيبة معي؟»

ـ «طبعًا لا، ولكنني علمت أنّك كنت مشغولاً بأمورٍ خاصة. لقد افتقدناك ولا سيّما أبي وأمي».

ـ «وأنتِ؟»

ـ «وأنا دائمًا سعيدةٌ برؤيتك يا سيِّدي». قالت جو تلك العبارة وهي تحاول أن تجعل صوتها يبدو طبيعيًا.

أخبرها باير بأنّه سيعود قريبًا، حيث لم يعد لديه ما يفعله في المدينة. وقال إنّه سيأتي لزيارتهم قبل سفره. وشعرت جو بغصَّة من جوابه. فصارحها باير بأنَّ لديه فرصة عملٍ جيدةً تدرُّ عليه دخلاً أفضل يجعل حياة ولديه فرانز وإميل أيسر. وقال إن العمل الجديد سيكون بعيدًا مما سيجعل فرص لقاءاتهما أقلّ.

لم يكن باير خبيرًا بمشاعر النساء، ولم يفطن للنبرة اليائسة في صوت جو. اشترت جو ما كانت تريده من أحد المحالّ، واشترى لها باير بعض الأزهار. وطلب منها أن تساعده في شراء ثوبٍ لتينا، لأنه يجهل هذه الأمور. أحسّت جو وهو يطلب منها هذا، برعشةٍ من البرودة الشديدة تجتاحها، وحاولت أن تخفي مشاعرها وقد أغاظها تصرُّف باير، ولكنّها لم تستطع ذلك. وانهمرت الدموع على خدَّيها. كانت محبطةً ومتعبةً تريد أن تعود إلى الدار بأسرع وقت. وعندما سألها باير برقّةٍ عن سبب بكائها، لم تتردّدْ في القول بصراحةٍ: «لأنّك مسافر».

قال باير وهو يحاول أن يُمسك بكل ما يحمله من أشياء: «آه جو، ليس عندي الكثير من الحبِّ أعطيه لك. لقد جئت لأعرف ما إذا كنت تهتمّين بي. وانتظرت حتى أتأكّد ما إذا كنتُ أكثر من مجرّد صديقٍ. فهل أنا كذلك؟ هل ثمّة متسعٌ في قلبك لفريتز العجوز؟»

قالت جو: «أجل!» وأحاطته بذراعيها ونظرت إليه نظرة تعبّر عن سعادتها بمتابعة مشوار الحياة معه، رغم عدم وجود مأوى أفضل لهما من مظلّته العتيقة.

سألت جو وهما يسيران معًا لا يأبهان لكلِّ ما حولهما: «قل لي، ما الذي أتى بك أخيرًا في الوقت الذي كنتُ بأمسِّ الحاجة إليك تمامًا؟»

أخرج باير ورقةً من جيبه، وقال: «إنّها هذه. لقد وجدت هذه الورقة مصادفةً، وكان فيها أبياتٌ من الشعر خُيّل إليّ أنّها تدعوني للمجيء».

وقرأت جو هذه الأبيات:

امرأةٌ في بيتٍ وحيدٍ

تبدو كبيت شعرٍ حزينٍ

تتطلع إلى حبٍّ كبيرٍ آتٍ

في يوم صيفٍ ماطرٍ

قالت جو، وهي تمزِّق الورقة: «إنّه شعرٌ رديءٌ، ولكنني كنت



أحسُّ بتلك المشاعرِ عندما كتبته». وتابعت قائلةً: «ما الذي أخّرك كلَّ هذا الوقت؟»

وشرح لها باير ظروفه. ما كان في وسعه أن ينتزعها من بيت أهلها قبل أن يوفرّ لها المنزل المناسب فهو لا يملك سوى علْمه.

قالت جو بحزم: «أنا سعيدةٌ لأنك فقيرٌ، فأنا لا أستطيع أن أتحمّل زوجًا غنيًا. لا تخشَ الفقر فقد خبرتُه طويلاً، ويسعدني أن أعمل من أجل مَن أحبُّهم».

قال باير: «هل تستطيعين الانتظار وقتًا طويلاً يا جو؟»

كان بحاجةٍ إلى فترةٍ من الوقت حتى يستطيع أن يؤمِّن مستقبل ولديه ومعيشتهما، فضلاً عن تأمين حياته. وقبلَت جو الانتظار فكلاهما يحبُّ الآخر، وهذا ما يجعل الانتظار سهلاً. عليهما الآن أن يكافحا وأمّا المستقبل فهو بيدِ الله.

أسعدت كلماتُها قلب باير، فقد منحته الأمل والشجاعة. أما هو فلم يكن يملك سوى القلب العامر بالحب ويدين خاليتين.

قالت له جو عند عتبةِ الدار وهي تعانقه: «لن تبقى يداكَ خاليتَيْنِ بعدَ الآن». وقبّلته تحت المظلّة، وأدخلته البيت وأغلقت الباب خلفهما.

الفصل الواحد والأربعون

وقتُ الحصاد

طَوال سنةٍ ظلَّ الأستاذ وجو يكدّان معًا، ويأملان ويتواصلان ويتراسلان. وفي بداية السنة الثانية توفِّيتِ العمّة مارش فجأةً تاركةً لجو ميراثًا طيّبًا. إنّه بيتٌ عتيقٌ ولكنّه فسيحٌ وجميلٌ. وظنّ الجميع أنّ جو ستبيعه، فهو بيتٌ كبيرٌ ذو حديقةٍ واسعةٍ ويحتاج إلى مال كثير لصيانته وخدمته. ولكن جو أصرّت على البقاء فيه. فهي تريد أن تحوِّله إلى مدرسة خاصةٍ بالأطفال، تعمل هي وفريتز فيها. وقالت جو إنّها ليست فكرةً طارئةً فقد راودتها الفكرة منذ زمن بعيدٍ. فكم ستكون سعيدةً حين تحقق الحلم الذي كان يراودها.

وافق الوالدان على رأي ابنتهما. كانت سنةً رائعةً، وبدت الأمور تسير بسرعةٍ وعلى أحسن ما يرام. وكانت جو تفكّر بأنَّ ذلك المنزل في بلامفيلد يصلُحُ أن يكون مكانًا عائليًا للأولاد الذين يحتاجون إلى التعليم والعناية وحسن المعاملة.

وسرعانَ ما تزوّجت جو وحقّقت أحلامها، ودخل مدرستها

الكثير من الأولاد الذين كانوا يَدْعونها «ماما باير». واكتملت سعادتها بإنجاب طفلين: «روب» على اسم جدّه، و «تيدي» الذي اكتسب صفات أمّه وأبيه.

كان هناك الكثير من العطل والإجازات في بلامفيلد، ومن أبهجها عطلة قطاف التفاحِ السنوية، حيث كانت تتجمّع أسرة مارش ولورنس وبروك وباير لتحتفل بهذه المناسبة. وقد شهدت حديقة ذلك المنزلِ، بعد خمس سنواتٍ من عرس جو، واحدةً من تلك الحفلات الرائعة التي شارك فيها الجميع مع أطفالهم بسعادةٍ غامرةٍ وبهجةٍ وحبورٍ، وكانت جو في ذروة سعادتها في ذلك اليوم. وبعد أن انتهى القطاف ووضع العشاء على العشب راح الجميع يشربون الأنخاب، وينشدون الأغاني، ويضحكون ويمرحون.

كان الجميع في غاية السعادة. فباير بات يشعر بأنّه محظوظ بسبب ما آلتْ إليه الأمور وما حقّق مع زوجته من نجاح. واعتبرت ميغ أنّها حقَّقت كلَّ ما تتمنّاه مع زوجها جون. وقالت إيمي إن ما تحقّق في حياتها لم يكن ضمنَ ما كانت تخطِّط له، ومع هذا فإنها لا تتمنى أن تغيّرهُ أو تبدِّلهُ، فهي وزوجها راضيان عن حياتهما، وشكرتِ الله على سعادتها.

أما جو فقد قالَت: «لا حاجةَ بي إلى القولِ إنّي سعيدةٌ، فهذا ما يستطيع كلُّ امرىءٍ أن يراه، فأنا سعيدةٌ بزوجي وولديّ وقد أعطاني اللّهُ أكثر ممّا أستحقّ».

قالت السيّدة مارش: «أعتقد أن حصادك، يا جو، كان جيّدًا».

فقالت جو باندفاعٍ طفوليّ: «ولكن لا يصل إلى نصف حصادك يا أمّاه. فنحن لا نستطيعُ إلاّ أن نقدّم آيات الشكر على ما قدّمتِه لنا».

قالت إيمي: «آمل أن يكون حصادنا أوفر في السنوات المُقْبلة».

وقالت ميغ بصوتٍ حنونٍ: «حصاد كبير يكون لك الفضل فيه».

ولم يسع السيدة مارش التي تأثّرت بالغ التأثُّر بكلمات مَن حولَها إلاّ أن تمدّ يديها وكأنها تريد أن تعانق جميع بناتها وأحفادها، وتقول بصوتٍ ملؤُهُ المحبّة والأمومة، والامتنان والتواضع: «أطالَ اللّهُ أعماركنّ يا بناتي الحبيباتِ، فأنا لا أستطيع أن أتمنّى لكنّ إلاّ سعادةً أعظم من هذه!»

الاستثمار التربويّ

أ ـ في تحليلِ القصّةِ ومناقشتِها:

١ ـ ما الّذي قدّمتْه القصّةُ في الصّفحاتِ الأولى منها؟

٢ ـ لمَ لا تريد الأمُّ أن يعود الوالد سريعًا كما ترغبُ بناتُها؟

٣ ـ هل تلمحُ في الفصلِ الثّاني ملامحَ إنسانيّةً في أعمالِ الشخصيّات؟ حدِّدْ هذه الأعمال وانسبْ كلاًّ منها إلى صاحبِهِ.

٤ ـ ماذا يعني أن تتكتّم ميغ عمّا حصلَ لها من مُنَغِّصاتٍ في حفلةِ رأسِ السّنة؟

٥ ـ كانَتْ إيمي شغوفة بالرّسم فلُقِّبت بـ «رافاييل الصّغير»، من هو «رافاييل»؟

٦ ـ بدَتْ جو في الفصلِ الخامسِ ذاتَ ذكاءٍ وحسن تقدير وفهمٍ لكثيرٍ منَ الأمور، أشِرْ إلى بعضِ ما لاحظتَهُ من هذهِ الأمورِ الّتي دلّت على ذكائها.

٧ ـ أيُّ الفتاتين (جو أم إيمي) كانَتْ مذنبةً تجاهَ أختِها؟ علِّلْ ما تذهَبُ إليه.

٨ ـ «مَتاعُ الغرور» عنوانُ الفصلِ التّاسعِ، أينَ تجد مِصداقَ المعنى الّذي حملَه هذا العنوانُ في هذا الفصلِ؟

٩ ـ كيف عرَفَتِ البناتُ أنّ أعمالَ تدبير المنزلِ صَعبة؟

١٠ ـ لماذا تكونُ الفرحةُ أكبرَ ما تكونُ إذ تبدأُ ساعاتُ الشّدّةِ بالانفراجِ، كما جرى لجو وميغ في نهايةِ الفصلِ الخامسَ عَشَر؟

١١ ـ ماذا يعني أن تحسّ في يوم منَ الأيّامِ أنّ شروقَ الشّمسِ رائعٍ؟

١٢ ـ هل كانَ من المحتَملِ أنْ تُقيمَ فتاةٌ صغيرة مثل إيمي في منزل عجوز كي تقومَ بخِدمتِها؟ لماذا؟

١٣ ـ هل كانَتِ الأمُّ مُصيبةً في الآراءِ الّتي أبدتها، عندَ نهايةِ الفصلِ السّابعَ عَشَرَ، في شأنِ زَواجِ ابنتِها ميغ؟ لماذا؟

١٤ ـ علامَ يدُلُّ تصرُّفُ لوري مع ميغ في الفصلِ الثّامنَ عَشَر؟

١٥ ـ علامَ يدُلُّ اعترافُ المُخطِىءِ بخطئِهِ واعتذارُهُ عنهُ؟

١٦ ـ علامَ يدُلُّ زوالُ الحِقدِ سريعًا من قلوبِ بعضِ النّاسِ؟

١٧ ـ هل كانَتِ العمّةُ مارش رافضةً حقًّا زواجَ ابنةِ أخيها «ميغ» بالشابّ «جون»؟ هل عرَفْتَ لماذا افتعلت أسلوبَ التّهديد؟

١٨ ـ تُرى، لماذا أنَّبَتْ «جو» لوري على إسرافِهِ حين قدّمَ هديّةَ العُرسِ لأختِها ميغ؟

١٩ ـ باركتِ العمّة مارش لابنةِ أخيها ميغ عندَما تمّ زواجُها وفي نفسها غُصّة. تُرى فيمَ هذهِ الغُصّة؟

٢٠ ـ ما تعليقُكَ على تخلّف أكثر المدعوّاتِ عن تلبيةِ الدّعوة في الفصلِ الثالثِ والعشرين؟

٢١ ـ في الفصلِ الرّابعِ والعشرينَ حقّقت جو عددًا منَ النّجاحاتِ في أعمالِها القَصَصيّةِ، اذكُرْ ما ترى من الأسبابِ الّتي أوصلَتْها إلى هذا النّجاح؟

٢٢ ـ ما الدّرسُ المستَفادُ، من الفصلِ الخامسِ والعشرين، في الحياةِ الزّوجيّة؟

٢٣ ـ ما هِيَ العواقِبُ التي يمكن الحصولُ عليها من حُسْنِ سلوكِ الإنسانِ معَ الآخرين؟ هاتِ مثالاً من أحدِ الفصلينِ السّادسِ والعِشرينَ أو السّابعِ والعِشرين.

٢٤ ـ في الفصلِ الثّلاثينَ نرى أنَّ الأستاذَ باير لم يَشَأْ أنْ يُصارِحَ جو فيكشِفَ لها عن أمرِ ما تنشرُهُ في إحدى الصُّحفِ مُنتظِرًا أنْ تبدأَ هيَ فتُخبرَهُ عن منشوراتها، لماذا كانَ ذلكَ منهُ؟

٢٥ ـ سألَتْ جو في الفصلِ التّاسعِ والثّلاثينَ لوري وإيمي، قالت: «كيف تتصرّفانِ عندما تستقرّان معًا؟» فأجابَها جو: «لن نكونَ كُسالى». هل ترى في جوابه هذا إشارةً إلى حَديثٍ سابقٍ لها معَهُ؟ ما هوَ هذا الحديث؟

٢٦ ـ هل أعجبَتْكَ العَلاقةُ الأُسَريّةُ في هذهِ القِصّة؟

٢٧ ـ ما العِبَرُ والفوائدُ الاجتماعيّةُ الّتي قدَّمَتْها هذهِ القصّة للقارىء؟

٢٨ ـ هل تستطيعُ أن تحدِّد المواقفَ الحرجةَ في هذهِ القصّة؟ ما هيَ؟ وماذا تسمّى مثْلُ هذهِ المواقفِ في فنِّ القصّة؟

٢٩ ـ في الحياةِ العاديّة للنّاس أفراحٌ وأتراحٌ، هل كانَتْ هذهِ القصّةُ مشاكلةً للحياةِ العاديّةِ للنّاس؟ اذكرْ بعضَ أفراحِها وبعضَ أتراحِها.

٣٠ ـ يقالُ في القِصّةِ: إنّها واقعيّةٌ، إذا كان من الممكن لأحداثِها أن تقَعَ في حياةِ النّاسِ، فهل تَعُدُّ هذهِ القِصّة واقعيّةً؟

٣١ ـ مكانُ الأحداثِ في هذه القِصّةِ أميركا وأوروبا، هل ترى أنّ هذه الأحداث يمكن أن تقع في مجتمَعٍ كمجتمعِنا العَرَبيِّ؟ لماذا؟

ب ـ في الشّرح والتّفسير:

١ ـ ما مَعاني التّعابير التّالية:

ـ هذهِ العبارةُ دارَتْ في خلَدِ كُلٍّ منهُنَّ:

....

ـ لا يتعدّى مصروفُهُنَّ دولارًا واحدًا:

....

ـ نُؤثِرُ جيرانَنا على أنفسِنا:

....

ـ أخذ منها الإعياءُ كُلَّ مَأْخَذٍ:

....

ـ شعَرَتْ إيمي أنَّ وراءَ الأكَمةِ ما وراءَها:

....

ـ تشُدُّ جو من أزْرِ أُختِها:

....

ـ لوري وإيمي يجدّفان معًا في عُبابِ مياهِ الحياةِ المُشتركة:

....

ـ لا نملِكُ شَروى نقير:

....

ـ دوّارةُ الرّيحِ لا تَعمَلُ بلا رِياحٍ. هذا مَثَلٌ غربيٌّ، فيمَ يُضْرَب؟

....

٢ ـ فسِّرْ معانيَ الألفاظِ التّاليةِ بالاعتمادِ على أَحَدِ المعجمات:

ـ التّفريط: ....

ـ الإفراط: ....

ـ آثَرَ: ....

ـ إيثار: ....

ـ أَثَرة: ....

ـ الحَرون: ....

ـ يضطجع: ....

ـ رانَ: ....

ـ لَحوح: ....

جـ ـ في اللّغة والنّحو:

١ ـ هاتِ أضدادَ الكلماتِ التّاليةِ معَ الضّبطِ بالشّكل:

بذّرَ ≠ .... ضئيل ≠ .... حُبور ≠ ....

بَشوش ≠ .... الحَرون ≠ .... تزهو ≠ ....

تعي ≠ .... صُلْبٌ ≠ .... رَفَضتْ ≠ ....

التِواء ≠ .... حافلةٌ ≠ .... الثّراء ≠ ....

٢ ـ هاتِ مرادفًا لكلٍّ ممّا يلي معَ الضّبطِ بالشّكل:

يكابِدْنَ = ... حُبورٌ = ... مُفْعَمٌ = ...

لاذتْ = ... آثرتْ = ... الصّارمة = ...

الأكَمة = ... السّكينة = ... يُفاجَأْنَ = ...

تُتاحُ = ... تهَيّبَ = ... التّوقُ = ...

٣ ـ اجمعْ كلاًّ من الأسماءِ التّاليةِ معَ الضّبطِ بالشّكل:

بَيضاء ← .... المُهْرُ ← .... أَحْمَر ← ....

كُبْرى ← .... الصّباح ← .... المِزاج ← ....

أَنْتِ ← .... شَكْوى ← .... عجوز ← ....

الأُخرى ← .... مِنّة ← .... قَلَنْسُوةٌ ← ....

٤ ـ هاتِ المفردَ من كلٍّ ممّا يلي مع ضبطِهِ بالشكل:

فِتْيةٌ ← .... فَتَياتٌ ← .... صِبْيةٌ ← ....

صَبايا ← .... زَرْقاوَينِ ← .... كِبارٌ ← ....

أَرائِكُ ← .... حَلْوَيات ← .... جياع ← ....

أَسْمالٌ ← .... أجواء ← .... الحَواني ← ....

٥ ـ لمَ كُتِبَتِ الهمزةُ بالطّريقةِ الّتي تراها في ما يلي:

ضئيل: ....

نُرْجِىء: ....

دِفْءٌ: ....

٦ ـ لمَ كُتِبَتِ الألف النّهائيّةُ كما تراها في ما يلي:

بدا: ....

مشى: ....

تتمنّى: ....

٧ ـ ضع خطًّا تحت الخطأ في ما يلي:

لا تتأخّرْ عنِ السّاعةِ الحاديةَ عَشْرَة. لا تتأخّر عنِ السّاعةِ الحاديةِ عَشْرة.

مدَّ الجدُّ يداهُ مرحّبًا. مدّ الجدُّ يديهِ مُرَحّبًا.

إنّ الجدَّ لم يَكُنْ سعيدًا. إنّ الجدُّ قد كان سعيدًا.

٨ ـ حوّل الضّميرَ المنفصلَ في ما يلي إلى ضميرٍ متّصل:

ـ إيّاها وَعَدَ بأنْ يزورَ أُسرتَها.

....

ـ إيّاهُما وَعَدَ بأنْ يزورَ أُسرتَهُما.

....

ـ إيّاهُنّ وَعَدَ بأنْ يزورَ أُسرتَهُنّ.

....

٩ ـ أكمِل كلاًّ منَ العبارات التّاليةِ بالطّريقة الّتي أُكْمِلَتْ بها الأولى منهنّ:

ـ هما صاحتا بصَوتٍ واحدٍ، وهنَّ صِحْنَ بصوتٍ واحدٍ.

ـ الشّبابُ ساروا، والبناتُ ....

ـ الفِتيانُ يقومونَ بأعمالِهِمْ، والفَتَياتُ .... بأعمالِـ ....

ـ أنتِ تَذوقينَ الطَّعامَ، وأنتُنَّ .... الطَّعامَ.

ـ الأمُّ تَتَمنّى لبناتِها، والأمّهاتُ .... لبناتـ ....

١٠ ـ أكمل كلاًّ من العبارات التّالية على طريقة الأولى منهنّ:

ـ لاق مَلْبَسُها، فمَلْبَسُها لائِقٌ.

ـ اهترأ ثوبي، فثوبي ....

ـ استعدَّتِ الكبرى للحفلةِ، فالكبرى ....

ـ مَشَتِ الفتاةُ، فالفتاةُ ....

ـ حَيَّتْهُما السَّيِّدةُ، فالسَّيِّدةُ ....

١١ ـ أعرِب ما يلي:

ـ احمرَّ وجهُ إيمي خَجَلاً.

ـ صِحْنَ بصَوتٍ واحدٍ.

ـ أليسَ الأمرُ كذلك؟

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

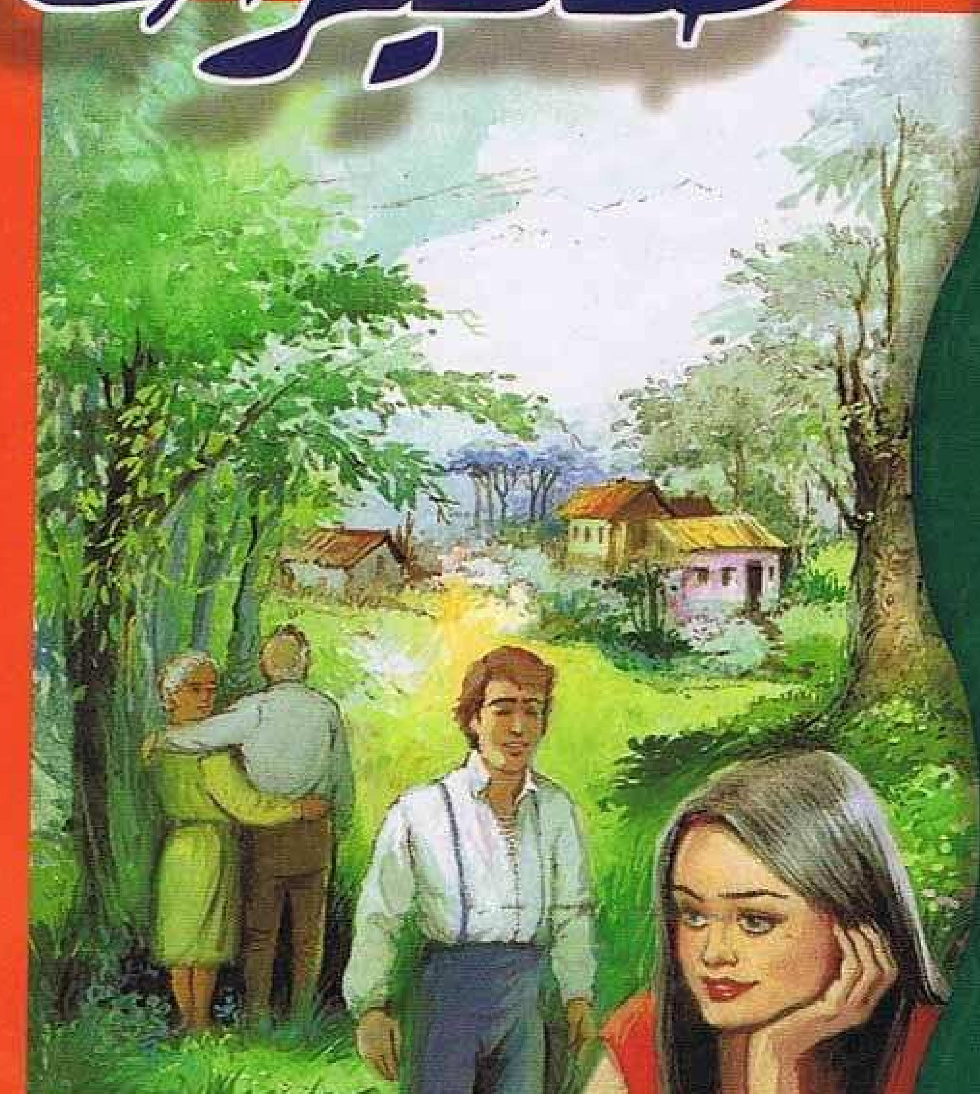
....

....

الفهرس

المكتبة العالمية
للفتيان والفتيات

نِساء صَغيرات



لويزا ماي ألكوت

دار العلم للملايين